


دراسة نصية عقدية لقوله ﷺ:

«حجابهُ النور، لو كشَفَه لأحرَقَت سُبُحاتُ وجهِه ما انتهى إليه بصَرُه مِن خَلقِه»

د. مريم حسن تيجاني

أكاديمية سعودية؛ محاضر متعاون بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى



ملخّص البحث

يتناول هذا البحث دراسةً نصيةً عقديّةً لقوله ﷺ: «حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَت سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ». ويعرِضُ لِبَيان معنى «الحجاب» عند أهل السنة والجماعة، ومخالفيهم من أهل التأويل، مع عرض شبهات المخالفين والرد عليها ببيان وجه بطلانها وفسادها. كما يعرض لبيان مفردات النص الشريف ومعناهُ الإجمالي باختصار، مع ذكر أهم الثمرات التربوية المستفادة من دراسته. فالخاتمة والتوصيات.

د. مريم حسن تيجاني
m.tejany@hotmail.com

Theological Textual Study of the Saying of the Prophet (may Allah exalt his mention and send peace on him)

"His (Allah's) veil is the light, if he removed it (the veil) the glory of his face would burn everything of his creation, as far as his gaze reaches"

Dr. Maryam Hasan Tejani

Saudi Academic, Assistant Lecturer in the Da'wah and Islamic Culture Department at the Faculty of Da'wah and Foundations of the Religion – Umm Al Qura University

Abstract

This research studies the saying of the Prophet (may Allah exalt his mention and send peace on him) "His (Allah's) veil is the light, if He removed it (the veil) the glory of His Face would burn everything of His creation, as far as his gaze reaches" and presents the meaning of the veil as Ahlus-Sunnah have understood it, and the understanding of those who oppose them from the people of Ta'weel (people who distort the meaning of the Names and Attributes of Allah the Almighty). The research will also present the doubts of those who oppose the understanding of Ahlus-Sunnah and refute the aspects of their doubts, and clarify the invalidity and corruption of their understanding. As it also goes on to clarify the wording of this noble text and its complete meaning briefly, and mention the most important educational benefits that have been benefitted from this study. After that I mentioned the conclusion and recommendations based on this study.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

اللهم ربنا لك الحمد أنت قيّمُ السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نورُ السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق ووعدك حق ولقاؤك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمدٌ ﷺ حق والساعة حق، أحمده تبارك حمداً يليق بجلاله، وأُصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين خير الورى سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد، فإن المتأمل لمختلف الأحاديث الثابتة الصحيحة -التي يعتقد البعض تعارضها-، يجد أنه لا حقيقة لهذا التعارض، وإنّما الإشكال عائد في أساسه إلى فهم الناس لهذه النصوص، وتباين تلك الأفهام بنسبيةٍ بشريةٍ فارضة، ولو ردوه إلى الله وإلى الرسول لعلمهُ الذين يستنبطونه منهم، وأما الفهم البشري فقاصر كقصور ذلك العقل الذي وكَل صاحبه الفهم إليه.

كيف وجيلُ الهدى الأول لم تُستحدث في زمنهم تلك المشكلات، وإنما كان فهمهم على مبدأٍ من فطرة سليمة نقية، لذا ما وجدنا أحداً حاد عن الجادة بسببِ سوء فهمٍ لنص من نصوص الوحيين، وإنما كان ذلك في بعض من جاء بعدهم، حيث ظنوا أن نصوص القدس تخطيء أو تتناقض! وما هو كذلك.

من هنا تأتي أهمية البحث في مثل تلك النصوص الكريمة لدراستها وفقهها فقهاً عقدياً سليماً، بحيث يحل الإشكال القائم في فهم بعض آحاد

الناس؛ جرّاء إعمالِ العقلِ وتقديمه استدلالاً وإثباتـًا، ولولا ذلك لما احتيج إلى دراستها، إذ شأن المؤمن مع ذلك كله - ما دامت قد ثبتت وروداً - أن يؤمن ويسلم تسليماً بلسان حالٍ ومقال: «سمعنا وأطعنا».

وفي هذا البحث - إن شاء الله - سنتناول قول الهادي ﷺ: «**حجابهُ النور لو كشفه لأحرقت سُبحاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**»؛ باستعراض بعض الإشكالات الحاصلة لدى البعض لاعتقادهم تعارضها أو خروجها عن معنى التنزيه، وما هي كذلك، وسيتبين لنا ذلك جلياً خلال البحث إن شاء الله تعالى.

أما بالنسبة لسبب اختيار الموضوع فلِما آنستُ من إشكالٍ لدى بعض المتكلمين عند قراءتي لبعض شروحهم لهذا الحديث، مما أثار تساؤلات في نفسي، لذا أحببتُ تناوله بشيء من الدراسةِ؛ لاستجلاءِ واستيضاح مواقف السلف رضوان الله عليهم، ومعرفة الفهم الصحيح في ذلك. وقد انتهجتُ في ذلك منهجاً استقرائياً تحليلياً للنص الشريف موضوعِ الدراسة، وفق الخطة التالية:

المطلب الأول: المعاني اللغوية لكلمات الحديث.

المطلب الثاني: المعنى الإجمالي للحديث.

المطلب الثالث: المباحث العَقَدية المتعلقة بالحديث.

أولاً: ما يتعلق بحجاب الرب ﷻ؛ وفي الكلام عن الحجاب مسألتان:

المسألة الأولى: في معنى الحجاب عند أهل السنة.

المسألة الثانية: في معنى الحجاب عند المخالفين.

ثانيـًا: ما يتعلق بصفة الوجه.

ثالثـًا: ما يتعلق بتردد الرواية بين النور والنار.

رابعـًا: في معنى قوله ﷺ: «ما انتهى إليه بصرهُ من خلقه».

المطلب الرابع: الثمرات التربوية والإيمانية المستفادة من الحديث الشريف.

ثم الخاتمة.

علمـًا أني اعتمدتُ على لفظ رواية مُسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه، ولم أتعرّض لما سواها إلا على سبيل إيضاح بعض ألفاظ الحديث الواردة، كما أني اكتفيتُ ببيان ذلك الاختلاف اللفظي دون سعيٍ لحصر رواياته إلا على سبيل الإشارة لبعضها عند العزو، مع استبعاد شرح النووي للتأويل الوارد فيه، واعتماد شرح الحديث من مصدرٍ آخر.

ثم مسكُ الختامِ سُؤلي أن يستعملنا الباري جميعـًا لنصرةِ دينه وإعزاز ورفعة الإسلام والمسلمين إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليمـًا كثيراً، اللهم آمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

نص الدراسة[(١)]:

عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٢)] قال قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «إن الله عَزَّوَجَلَّ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور –

---

(١) أخرجهُ مسلم في كتاب الإيمان، «باب في قوله: ﷺ إن الله لا ينام، وفي قوله: حجابه النور لو كشفه لأحرقتْ سُبُحاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»؛ من رواية **الأعمش** ورواية **شُعبة** عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حديث رقم (١٧٩). والإمام أحمد في أول مُسند الكوفيين من طريق الأعمش كذلك عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حديث رقم (١٩١٣٥). وابن ماجه في سُننه من روايةِ المسعودي عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حديث رقم (١٦٢-١٦٣). وابن خزيمة في كتاب التوحيد، (١/ ٤٥-٤٧-٤٩-١٧٧). وأبو عاصم في كتاب السنة (٦١٤).

(٢) أبو موسى الأشعري؛ عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب، الإمام الكبير صاحب رسول الله ﷺ. الفقيه المقرئ. وهو معدود فيمن قرأ على النبي ﷺ. أقرأ أهل البصرة، وأفقههم في الدين. وفي الصحيحين عن أبي بردة بن أبي موسى، عن أبيه: أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلا كريما». وقد استعمله النبي ﷺ ومعاذاً على زبيد، وعدن. وولي إمرة الكوفة لعمر، وإمرة البصرة. وقدم ليالي فتح خيبر، وغزا، وجاهد مع النبي ﷺ، وحمل عنه علماً كثيراً. توفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ذي الحجة سنة أربع وأربعين على الصحيح. انظر: تراجم الأعلام، د.ط، د.ت، المكتبة الإسلامية، «ترجمة أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

وفي رواية أبي بكر[١]: **النار**-، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه». وفي رواية أبي بكر عن الأعمش[٢]؛ قال: «قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات» - ثم ذكر بمثل حديث أبي معاوية[٣] ولم يذكر من خلقه- وقال: حجابه النور.

---

(١) أبو بكر ابن أبي شيبة؛ عبد الله بن محمد بن القاضي، الإمام العلم، سيد الحفاظ، وصاحب الكتب الكبار «المسند» و«المصنف»، «والتفسير»، أبو بكر العبسي مولاهم الكوفي، نشأ في بيت علم، وأبو بكر أجلُّهم. وهو من أقران أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وعلي بن المديني في السن والمولد والحفظ. طلب العلم وهو صبي، وأكبر شيخ له هو شريك بن عبد الله القاضي؛ قال أحمد بن عبد الله العجلي: كان أبو بكر ثقة، حافظا للحديث، مات في المحرم سنة خمس وثلاثين ومائتين. انظر: تراجم الأعلام، «ترجمة ابن أبي شيبة».

(٢) الأعمش سليمان بن مهران، الإمام شيخ الإسلام، شيخ المقرئين والمحدثين أبو محمد الأسدي الكاهلي، مولاهم الكوفي الحافظ. أصله من نواحي الري. فقيل ولد بقرية أمه من أعمال طبرستان في سنة إحدى وستين وقدموا به إلى الكوفة طفلا، وقيل: حملا. رأى أنس بن مالك وحكى عنه، وروى عنه، مات الأعمش في ربيع الأول سنة ثمان وأربعين ومائة بالكوفة. انظر: تراجم الأعلام، «ترجمة الأعمش».

(٣) أبو معاوية محمد بن خازم مولى بني سعد بن زيد مناة بن تميم، الإمام الحافظ الحجة أبو معاوية السعدي الكوفي **الضرير**، أحد الأعلام. قال أحمد وجماعة: وُلد سنة ثلاث عشرة ومائة. وعمي وهو ابن أربع سنين، فأقاموا عليه مأتما، قاله أبو داود. ويقال: عمي ابن ثمان سنين. سُئل أحمد عن أبي معاوية وجرير في الأعمش، فقدم أبا معاوية، مات سنة خمس وتسعين. انظر: تراجم الأعلام، «ترجمة أبي معاوية».

المطلب الأول

المعاني اللغوية لكلمات الحديث

أولاً: معنى القسط:

القِسْط: أي الميزان، سُمي به من القسط: العدل، أراد أن الله يخفض ويرفع ميزان أعمال العباد المرتفعة إليه وأرزاقهم النازلة من عنده، وقيل: أراد بالقسط القسم من الرزق الذي هو نصيب كل مخلوق: وخفضه تقليله ورفعُهُ تكثيره، والقسط الحصة والنصيب(١).

ثانياً: معنى السبُحات:

السُبُحات: جمع سُبحة؛ وسُبُحات وجهه؛ جلالُهُ ونُورُه. كما ذكر شيخ الإسلام: ونقل هذا المعنى عن الخليل وأبي عبيد(٢)، وهو المعنى الذي ذكر النووي إجماع أهل اللغة عليه(٣).

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، لمحمد بن أبي السعادات المعروف بابن الأثير، د.ط، د.ت، المكتبة العلمية، حرف القاف (باب القاف مع السين)، جـ٤، ص٦٠. وانظر: شرح النووي على مسلم، ولسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، مادة «قَسَطَ».

(٢) الفتوى الحموية الكبرى لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحراني، جـ٥، ص٧٤

(٣) قال النووي: «فالسُبُحاتُ – بضم السين والباء ورفع التاء في آخره- وهي جمع سُبحة. قال صاحب العين والهروي وجميع الشارحين للحديث من اللغويين والمحدثين معنى سُبُحات وجهه: **نورهُ وجلاله وبهاؤه**». انظر: شرح النووي على مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «إن الله لا ينام وفي قوله حجابه النور لو كشفه لأحرق سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».

ثالثاً: معنى الحجاب:

الحجاب: الحجاب هو الستر؛ يُقال توارت الشمسُ بالحجاب؛ أي غابت في الأفق واستترت به(١)، وَحَجَبَ الشيء يحْجُبُهُ حَجْبًا وحِجَابًا وحَجَّبَهُ: سَتَرَهُ (٢)، فهو اسمٌ لما احْتُجِبَ به، وكل ما حال بين شيئين: حجاب(٣).

كما أنهُ الحائل بين الرائي والمرئي(٤)، وهو المانع من الرؤية(٥).

رابعاً: في معنى النور والنار:

النار: جوهر لطيف مُحرق(٦)، وتُجمع النار على أنيار، وأصلها: أنوار، لأنها من الواو(٧). والنار: معروفة، أنثى، وهي من الواو لأن تصغيرها نويرة.

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير، د.ط، د.ت، المكتبة العِلمية. حرف الحاء، باب الحاء مع الجيم ص٣٤٠.

(٢) لسان العرب مادة «حَجَبَ».

(٣) المرجع السابق.

(٤) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري تعليقاً على هذا الحديث الشريف، وقد ذكر الشارح معانٍ تأويلية أخرى، لكن ما يهمنا هنا الحجاب بمعناهُ العام في أصل اللغة وقد ذكره. وأما التأويلات التي ساقها فلا نتفق فيها معه. كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣].

(٥) بيان تلبيس الجهمية، جـ٢، ص١٤١٨.

(٦) معجم التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني، تحقيق ودراسة محمد صدِّيق المنشاوي، د.ط، د.ت، دار الفضيلة، القاهرة. ص٢٠١.

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ص١٢٦ – ١٢٧.

وفي التنزيل العزيز: ﴿أَنْ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [النمل: ٨]، قال الزجَّاج: جاء في التفسير أن من في النار هنا نور الله عَزَّوَجَلَّ. قال ابن سيده: وقد تُذَكَّر النار[١].

النور: في أسماء الله تعالى (النور)؛ هو الذي يبصّر بنوره ذا العماية، ويرشد بهداه ذا الغَواية. وقيل: هو الظاهر الذي به كل ظهور. فالظاهر في نفسه المظهر لغيره يسمى نوراً. والنور جسم وعرض وفي حديث الدعاء: «اللهم اجعل في قلبي نورًا..»؛ أراد ضياء الحق وبيانه[٢]. فالنور: الضياء، وهو ضد الظلمة. وفي المحكم: النور الضوء أيـًا كان، والجمع أنوار ونيران.[٣]

فنلحظ من التعريفات السابقة معنى الترادف بين النار والنور في لغةِ العرب؛ وكلاهما له خاصية الضياء، كما أن جذرهما اللغوي مشتركٌ أيضـًا؛ فبحسب كلام أهل اللغة تُجمع النار على أنيار وأصلها أنوار، والنور يُجمع نيران وأنوار. ثم النار تتسم طبعـًا بخاصيةِ الإحراق، وهذهِ الخاصية قد تتوفر في نورٍ شديد التوهج والحرارة.

(١) لسان العرب، حرف النون، مادة «نور».

(٢) النهاية في غريب الأثر، ص١٢٥.

(٣) لسان العرب حرف النون، مادة «نور».

المطلب الثاني

المعنى الإجمالي للحديث

معنى الحديث الشريف؛ أن النبي ﷺ قام خطيباً في أصحابهِ مُذكراً بخمس كلمات، أي بخمس فصول، والكلمة لغةً تطلق على الجملة المركبة المفيدة. فقال: «**إن الله لا ينام**»؛ إذ النوم لاستراحة القوى والحواس وهي على الله تعالى محال. «**ولا ينبغي له**»؛ أي لا يصح ولا يستقيم له النوم. فالكلمة الأولى دالة على عدم صدور النوم والثانية للدلالة على استحالته عليه تعالى.

«**يخفض القسط ويرفعه**»؛ أي أن الله يخفض ويرفع ميزان أعمال العباد المرتفعة إليه وأرزاقهم النازلة من عنده، كما يرفع الوزان يده ويخفضها عند الوزن، فهو تمثيل وتصوير لما يقدّر الله تعالى وينزل، ويحتمل أنه أشار إلى قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]؛ أي أنه يحكم بين خلقه بميزان العدل فأمره كأمر الوزان الذي يزن فيخفض يده ويرفعها وهذا المعنى أنسب من الذي قبله، كأنه قيل: كيف كان يجوز عليه النوم وهو الذي يتصرف أبداً في ملكه بميزان العدل. وقيل: أريد بالقسط الرزق؛ لأنه قسط كل مخلوق أي: نصيبه، وخفضه تقليله ورفعه تكثيره.

«**يُرفع إليه**»؛ أي للعرض عليه -وإن كان هو تعالى أعلم به-، ليأمر الملائكة بإمضاء ما قضى لفاعله جزاء له على فعله، ويُرفع ليحفظ إلى يوم الجزاء.

«**قبل عمل الليل**»؛ أي قبل أن يشرع العبد في عمل الليل، أو قبل أن يرفع العمل بالليل. والأول أبلغ لما فيه من الدلالة على مسارعة الكرام الكتبة إلى رفع الأعمال وسرعة عروجهم إلى ما فوق السموات.

«**حجابُهُ**»؛ الحجاب هو الحائل بين الرائي والمرئي، والمراد هاهنا هو المانع للخلق عن إبصاره في دار الفناء، أما الكلام عن دار البقاء فلا يرد أن الحديث يدل على امتناع الرؤية في الآخرة، وكذا لا يرد أنه ليس له مانع عن الإدراك. فكيف قيل حجابه النور؟ يريد أن حجابه على خلاف الحجب المعهودة فهو محتجب على الخلق بأنوار عزه وجلاله وسعة عظمته وكبريائه، وذلك هو الحجاب الذي تدهش دونه العقول وتذهب الأبصار وتتحير البصائر.

«**لو كشفهُ**»؛ أي لو رفع وأزال ذلك الحجاب وتجلى لما وراءه ما تجلى من حقائق الصفات وعظمة الذات «**لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**»؛ أي: كل مخلوق انتهى إليه بصره تعالى، ومعلوم أن بصره محيط بجميع الكائنات مع وجود الحجاب فكيف إذا كُشف، فهذا كناية عن هلاك المخلوقات أجمع[1].

---

(١) انظر: حاشية السندي على ابن ماجه، ص٨٥-٨٦.

المطلب الثالث

المباحث العَقَدية المتعلقة بالحديث

أولاً: ما يتعلق بحجاب الرب ﷻ:

والكلام عن حجاب الرب ﷻ يتناول مسألتين:

- **المسألة الأولى: معنى الحجاب عند أهلِ السنة:**

الحجاب عند أهل السنة؛ هو صفة لله ﷻ وهو حجابٌ حقيقي منفصلٌ عن العبد كما يليق بربنا ﷻ؛ يكشفه متى شاء كيف شاء[1]. وحقيقته أنهُ سترُ الرؤية والإحراق، لا ستر العلم والقُدرة والإدراك؛ يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والحجاب في حق الله لا يصح إلا بالمعنى الثاني؛ فإن الله عَزَّوَجَلَّ لا يحجبُهُ شيء عن أن يرى عباده، ويشهدهم، وإنما يحجب العبادَ عن أن يروه، وأن تحرق سُبُحاتُ وجهه ما أدركهُ بصرُهُ من خلقه»[2].

وأما قولنا: «يكشفه متى شاء كيف شاء»؛ فنقصد بتلك الكيفية أنها قد تكون تجلياً كما في تجلي الرب سبحانه للجبل، فقد أورد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ – عند تفسيره لآية التجلي الإلهي للجبل – عن ابن عباس وأنس بن مالك

---

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لشيخ الإسلام ابن تيمية–رحم الله الجميع–، تحقيق: د. راشد الطيار، د.ط، ١٤٢٦هـ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة. جـ٨، الصفحات من ٨٢ – ١٤٢.

(٢) المرجع السابق، جـ٨، ص ١٥٤.

رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن ذلك التجلي كان بمقدار طرف الخنصر والله أعلم، بخلاف ما تفيده مختلف النصوص التي تذكر نعيم أهل الجنة برؤية ربهم سبحانه، فالتجلي أو كشف الحجاب هناك في ذلك الموضع مختلفٌ تماماً عن التجلي الذي كان للجبل هاهنا. والعلم عند الله تبارك وتعالى(١).

فاللهُ وحدهُ تبارك وعز أعلم بكنهه وحقيقته. - لا كما ذهب إليه بعض المؤولة من أن المراد به ستر الأبصار ومنعها من رؤيته كما سيمرُ معنا -، وإنما المتتبع لنصوص الوحيين يجد كلا المعنيين قد وردا في سياقٍ ومناسباتٍ ذكرتها تلك النصوص الشريفة، فهناك نصوص تذكر حجاب الرب سبحانه وتعالى، كهذا الحديث الشريف الذي بين أيدينا، وكقول الباري تبارك: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١]، وغيرهما. وهناك نصوص تذكر حجب الله تعالى لبعض خلقه عن رؤيته أو احتجابه عنهم، كقوله سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، وكقوله تبارك وعز: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، مما يدل على أنه تبارك وعز كان محتجباً عن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وعليه فالحجاب يتحقق فيه المعنيان؛ من احتجاب الباري تعالى عن خلقه، وحجب الأبصار عن رؤيته سبحانه، وهذا لا يتنافى مع صفة الحجاب لله تعالى، بل إنه عند الإطلاق لصفة الحجاب لله تبارك وعز لا يتبادر إلى

(١) المرجع السابق، نفس الجزء والصفحات.

الأذهان إلا ما اتخذه ﷻ من الستر بينه وبين خلقه على وجهٍ يليق به تعالى، وهذا هو الذي يتوافق مع فطرة العقل السوي.

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن من تأمل نصوص الكتاب، وما ورد في ذلك من الآثار عن الصحابة والتابعين، علم بالضرورة علماً يقينياً لا يستريب فيه، أن لله عز وجل حجاباً، وحُجُباً منفصلة عن العبد يكشفها إذا شاء، فيتجلى، وإذا شاء لم يكشفها»(١).

وإذا رجعنا إلى نص الحديث الشريف نجده يثبت أن ثمة حجاباً بين الله ﷻ وبين خلقه، وهذا أمرٌ ليس بممتنعٍ عقلاً(٢)، إذا سلمنا بأن القوانين والأقيسة الإلهية تختلف في حقائقها ومسافاتها عن تقديراتنا العقلية معاشر البشر والمخلوقين عموماً، وأنا هنا لا أعني الأقيسة أو المسافات المادية نهائية كانت أو لا نهائية، وإنما أقصد أن ثمة قوانين لا يمكن للبشر إدراك كنهها أو الإحاطة بها مهما بلغت قدراتهم العقلية من قوة التفكير ودقته واعتماده على العلم، إذ العقل البشري قاصر محدود بإمكانات وقدرات ليس له تجاوزها بحال، لذا فمن غير الممكن أن يحيط العقل البشري

---

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، الرد على تأسيس التقديس، ط١، ١٤٢٩هـ، الدار العثمانية للنشر، الأردن، جـ٢، ص١٤١٩.

(٢) أقول هذا على سبيل المحاجة لأهل المعقول من المتكلمين الذي أولوا معنى حجاب الرب تبارك وتعالى لأنه ليس بسائغ عقلاً!، لا على سبيل التأسيس والاعتماد على العقل ودلالته ابتداء. وإنما تسليمنا لما ورد من النصوص المثبتة هو الأصل، ثم الإيضاح والبيان أن لا تعارض بينها وبين دلالة العقل خطوةٌ تالية.

الناقص القاصر بمن له صفات الكمال والجلال ﷻ، ولا أن يحيط المخلوق بالخالق عَزَّوَجَلَّ، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

ولذلك نجد السلف الصالح رضوان الله عليهم يثبتون الحجاب للرب سبحانه وتعالى لوروده في النصوص الشرعية -ومن بينها هذا النص الشريف موضوع الدراسة-، فقد ذكر شيخ الإسلام أن نصوص الحجاب من الكثرة بمكان، فقال في معرِض رده على الرازي: «أما ذكر الحجاب في الكتاب والسنة فأضعاف ما ذكره»[(١)]، كما حكى تواتر أحاديث الحجب، فقال: «وقد رُوي في الحُجب أحاديث وآثار، وإن لم تكن في الكتب المشهورة لكنها مما رواهُ العلماء أهل الحديث»[(٢)].

و من مواقف أهل السنة أيضـًا -على سبيل المثال-: الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث يقول: «أما إطلاق الحُجب فقد صح أن حجابَهُ النور، فنؤمن بذلك ولا نجادل بل نقف»[(٣)]، وكذلك قول الإمام السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحجاب ثابتٌ في صحيح مسلم» استناداً إلى هذا الحديث الشريف «حجابه النور»[(٤)]، وغيرهما من السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين.

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، جـ٢، ص١٤٠٩.

(٢) المرجع السابق، جـ٢، ص١٤١٢.

(٣) سير أعلام النبلاء للإمام أبي عبد الله محمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط٩، ١٤١٣هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت. جـ ١٤، ص ٢٣٥.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: ابن عثيمين، د.ط، ١٤٢١ هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، جـ ١، ص ٥٦٨.

وعليه فنؤمن أن لله ﷻ حجاباً من النور أو النار كما ورد بذلك الحديث الصحيح الذي بين أيدينا، ووردت به النصوص الكريمة الأخرى، وأنهُ عَزَّوَجَلَّ قد اتخذه ستراً بينهُ وبين خلقه.

- **المسألة الثانية: معنى الحجاب عند المخالفين:**

إننا إذا تأملنا أقوال أهل الكلام في نصوص الحجاب؛ نجدهم يردون ظاهر المعنى الذي اتفق عليه أهل السنة لشُبهٍ عارضة مستندها الأساس هو الدليل العقلي، فعند المتكلمين لا يمكن اعتقاد احتجاب الله تعالى عن خلقه، ونظراً لذلك ساقوا عدداً من المعاني والتأويلات رادّين إطلاق الحجاب إلى المخلوقين لا إلى الخالق تبارك وعز، ومن تلك التأويلات:

أ- تأويل معنى الحجاب بإرجاع الضمير إلى المخلوق لا الخالق جل وعلا:

١) يقول ابن فورك: «اعلم أن كل ما ذُكر فيه الحجاب من أمثال هذا الخبر فإنما يرجع معناه إلى الخلق؛ لأنهم هم المحجوبون عنه بحجابٍ يخلقهُ فيهم، لا يجوز أن يكون الله عز وجل محتجباً ولا محجوباً؛ لاستحالة كونه جوهراً أو جسماً محدوداً؛ لأن ما يستره الحجاب أكبر منه ويكون متناهياً محاذياً عليه المماسة والمفارقة، وما كان كذلك كانت علامات الحدث فيه قائمة».

ويستطرد: «فأما قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: "لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه"، فقد تأول أهل العلم ذلك منهم أبو عبيد، ذكر أن معنى "لو كشفها"

فقال: أي: لو كشف رحمته عن النار، لأحرقت سُبحات وجهه، أي لأحرقت وجه المحجوب عنه بالنار، والهاء عائدة في "سُبحات وجهه" إلى المحجوب لا إلى الله عز وجل؛ لأن هذا الوصف لا يليق به سبحانه لما ذكرنا أنه يستحيل أن يكون محجوباً أو محتجباً»[١]، وإلى ذات المعنى ذهب الإمام القرطبي في قوله: «وبالحقيقة فالمخلوق المحجوب، والله لا يحجبه شيء»[٢].

ويُرَد على تأويل ابن فورك بإعادة الضمير إلى المخلوق في قوله ﷺ «سُبُحات وجهه»، بما ذكرهُ شيخ الإسلام من أوجهٍ عِدة، سأذكر بعضها وأضيف آخر، فيقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقال هذا من أبطل الباطل **من وجوه؛ أحدها**: أن هذا تحريف للفظ الحديث، وهو أبلغ من تحريف معناه؛ فإن لفظ الحديث «حجابه النار، أو النور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل ما أدركه بصره»، وهذا التحريف نظير قراءة من قرأ من الجهمية ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤]، وجعل موسى هو المكلِّم الذي كلم الله عَزَّوَجَلَّ»[٣].

الثاني: لو كانت السُبُحات محرقه وكانت منصوبة – إذ الضمير في وجهه عائد إلى المخلوق – لكان قوله بعد ذلك: «**كل ما أدركه**» كلامٌ باطل[٤]،

---

(١) مشكل الحديث وبيانه لأبي بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، تحقيق: موسى محمد علي، ط ٢، ١٩٨٥م، عالم الكتب، بيروت. ص ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، جـ ١٣، ص ١٥٩.

(٣) بيان تلبيس الجهمية، جـ٨، ١٥٠.

(٤) انظر: بيان تلبيس الجهمية، جـ٨، ١٥١.

حيثُ تعود جميع الضمائر الواردة في الحديث الشريف إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فإعادة هذا الضمير دون غيره إلى العبد –حسب مذهب المتكلمين–؛ فضلاً عن كونه إخلالاً بالمعنى، فإنهُ يُبطل سائر المعاني الواردة والظاهرة من سياق الحديث.

الثالث: أنهُ قال «حجابُهُ النور»، والضمير عائد إلى الله لا إلى العبد، لأن العبد لم يجرِ له ذكر، فإنهُ قال: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعملُ النهار قبل عمل الليل، حجابُهُ النور، لو كشَفَهُ لأحرقت سُبحاتُ وجهه ما أدركه بصرهُ من خلقه»، وعلى ما ذكره لا يكون الضمير إلا إلى العبد كما صرحوا بذلك![1]، وهذا من لوازم قولهم أن يُعاد الضمير في سائر الحديث إلى العبد لا إلى الله تعالى، ولا يخفى ما في هذا المعنى من البطلان البيِّن الظاهر.

الرابع: «أنهُ لا يصح عود الضمير إلى العبد عندهم، لأنهُ لا يحجبه نور ولا نار أصلاً، وإنما الحجاب: عدم خلق الرؤية، أو ما يمنع الإحسان»[2]، وهذا منحىً إلزامي من شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فمن تأمل تأويلاتهم المتناقضة يجدها يُفسدُ بعضُها البعض.

الخامس: أنهُ قال «حجابه النور أو النار لو كشفها»، لم يقل لو كشف عنها، وكشف الشيء إزالته ورفعه، والكشف عنهُ إظهارهُ، كما قال في

---

(١) المرجع السابق، جـ٢، ص١٤٢٦

(٢) المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

الحديث الآخر: «فيكشف الحجاب فينظرون إليه». ولو أراد ذلك المعنى لقال لكشف عنها[١]، وهذا ملحظٌ دقيق من شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ وإلزامٌ لأهل الكلام بدلالةِ اللغة.

السادس: أن قولهم: «ما سترهُ الحجاب فالحجاب أكبرُ منه» ليس بسديد.. فلا يُشترط أن يكون الحجاب أكبر، فإن الشيء الصغير إذا وُضع قريباً من عيني المرء حجبه أن يرى شيئاً من الأشياء، والشيء الكبير إذا كان بعيداً من الرائي حجبهُ ما هو أصغر منهُ بكثير، كما يحجب الشمس سحابة، وإن كانت الشمس بقدرها مرات لا يعلمها إلا الله تعالى، فمن أين يجب أن يكون أكبر منه؟»[٢]. وهنا استشهادُ شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بدلالة الواقع التي لا ينكرها العقل بحال.

كما وضَّح رَحِمَهُ ٱللَّهُ مذهب أهل السنة في ردهِ على زعم المماسة، فقال: «وما ذكروه غلط لأنا لما بيَّنا أنا نثبت حجاباً لا يفضي إلى التناهي والمحاذاة والمماسة، كما أثبتنا رؤيته لا على وجه التناهي والمحاذاة»[٣].

وأُضيف: «لأحرقت سبحات وجهه»، فإضافة الضمير إلى المخلوق واضحة البطلان، لأنه سيكون السياق حينئذٍ: «لأحرقت سبحات وجه المخلوق». إن كان المراد أنها تحرق فهذا غير صحيح، وقد رد شيخ الإسلام على ذلك. وأُضيفُ إلى ما أورده: أنه ما كلُ المخلوقات ذوات

(١) المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

(٢) المرجع السابق، جـ٢، ص١٤٢٧.

(٣) المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

أوجـهٍ لنجعـل لهـا سُـبحات! فضـلاً عـن أن ننسـب إليهـا أنـواراً فاعلـةً بـالإحراق!!، فكيـف بالجبـال والشـجر، وغيـر ذلـك ممـا علمـه عنـد البـاري سبحانه؟!، فيتعين إذن أن المراد سبحات وجه الرب سبحانه.

وكـذلك: لـو كـان المـراد وجـه المخلـوق، لتعـددت الأوجـه ولمـا كـان للحـديث أن يـأتي بلفـظ المفـرد، فدلالـة اللغـة هاهنـا فصـل. كمـا أن السـياق الوارد فصلٌ كذلك، إذ الضمائر السـابقة في أول الحـديث، تعـود إلـى البـاري سبحانه، فكذلك هذا الضمير يعـود إلـى الخـالق سـبحانه، ويـرادُ بـه سُـبُحات وجهه تبارك وعز.

ب- تأويل معنى الحجاب بأنهُ آيات الله ودلائله:

٢) وقال بعضهم – والحديث لابن فورك –: تُحمل إضافة الحجاب إليه تعـالى مـن طريـق الجعـل والخلـق، وهـو أن جعـل الخلـق محجوبـاً بـه لأنـه يُحتجب به، فإن قالوا فعلى ماذا تحملون ما رُوي عن ابن عمر؟![1] قيـل قـد ذكر بعض أهل العلم في ذلك تأويلاً؛ أن الله عرّفنا نفسه بآياتـه ودلائلـه، فقـال له آيات ظهرت للخلق فكانت معرفتهم به كمعرفةِ العيان.

ثـم عضـد مسـلكهم بتأويـل الثلجـي الـذي أورده بهـذا المعنـى ورد عليـه،

---

(١) الحديث الذي يرويه مجاهد عن ابن عمر رحمهما الله –وهـو أثـرٌ حَسَـن–: «احتجب الله من خلقهِ بأربع بنارٍ ونورٍ وظلمة ونور»، وفي بعض الروايات «بنارٍ وظلمة ونـورٌ وظلمـة». انظر: بيان تلبيس الجهمية، جـ٨، ص١١١-١١٦، والإمام أبي عثمان بـن سـعيد الـدارمي في نقضه على المعارض.

فقال: وقال محمد بن شجاع الثلجي: «معنى احتجب بالنار أي خلقها دون تلك الدلالات التي تُبهر العقول وتدل على معرفته حتى تصير كمعرفة العيان»، وهذا الخبر إذا حُمل على تأويل الثلجي كان معنى الاحتجاب عن الخلق أنهُ جعل دلالة فوق دلالة، ودلالة أظهر من دلالة، ويُرجع في التحقيق إلى ما قلنا أنه يحجب الخلق بما يخلقه فيهم من موانع المعرفة والربوبية لا أنه يحتجب احتجاب استتار كالاستتار بالأجسام الحاوية لما يُحيط بها ويكتنفها[١].

ورداً على هذا التأويل؛ بأن المراد بالحجب هي الآيات والدلائل يقول الإمام أبو سعيد الدرامي: فيقال لهذا المعارض: عمن رويت هذا التفسير ومن ادعى قبلك أن حجب الله آياته التي احتجب بها؟! فما معنى قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١]؟ أمعناهُ عندك من وراء الدلالات والعلامات؟! أم قوله: كلا إنهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون؛ أمعناهُ عندك من وراء الدلالات والعلامات؟ أم هو عندك أن لا يروا يومئذٍ آياته ودلائله ولا يعرفوا يومئذٍ أنه الواحد المعروف بالوحدانية؟ وأنه ليس أحدٌ يوم القيامة في دعواك عنه محجوب؛ لما أن كُلاً يرى يومئذٍ دلالاته وعلاماته وآياته وكلٌ يعرف يومئذٍ أنه الواحد الأحد، فما هو موضع الحجاب يومئذٍ وكيف صارت تلك الدلالات من نارٍ ونور وظلمة؟ وما يُصنع بذكر النار والظلمة هاهنا في الدلالات والعلامات؟![٢]

(١) انظر: مشكل الحديث وبيانه لأبي بكر محمد بن الحسن بن فورك، ص ٢١٦، ٢١٧.

(٢) انظر: نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق: رشيد بن حسن الألمعي، =

وهذه تساؤلات منطقية عقلانية تُظهرُ عُوار تلك التأويلات الفاسدة التي جنح إليها أهل الكلام عموماً والرازي على وجه الخصوص. وكما يقول شيخ الإسلام: فإن «نفس الدليل الذي يحتج به المبطل هو بعينه إذا أُعْطِيَ حقه، وتميز ما فيه من حق وباطل، وبُيِّن ما يدل عليه تبين أنه يدل على فساد قول المبطل المحتج به في نفس ما احتج به عليه»[١].

ج- تأويل معنى الحجاب بأنهُ منع وصول آثار إحسانه وفضلهِ:

٣) ذهب الرازي إلى أن معنى الحجاب: محمولٌ على أن الله تعالى لا يخلق في العين رؤية متعلقة به، وعند من ينكر الرؤية محمولٌ على أنه تعالى يمنع وصول آثار إحسانه وفضله من إنسان[٢]، وقد استدل صاحب إيضاح الدليل على هذا المعنى بمنع الكافرين عن رؤية ربهم يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥].[٣]

أما صاحب مرقاة المفاتيح فيفسر الحجاب الوارد في الحديث بقوله: «وأصل الحجاب الستر الحائل بين الرائي والمرئي وهو هنا يرجع إلى منع الأبصار من الإصابة بالرؤية، فهو كناية عن منع رؤيته تعالى في الدنيا أو عن

=

ط١، ١٤١٨هـ، مكتبة الرشد، السعودية، جـ٢، ص ٧٤٩.

(١) مجموع فتاوى ابن تيميَّة، جـ٦، ص٢٨٨.

(٢) أساس التقديس في الكلام لفخر الدين أبو عبد الله الرازي، ط ١، ١٤١٥هـ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت. ص ٨١.

(٣) محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، تحقيق: وهبي سليمان الألباني، ط ١، ١٤١٠هـ، دار السلام للطباعة والنشر، مصر. ص١٨٨.

الإحاطة بذاته في الدنيا والعقبى»[١].

وهذا القول الذي ذكرهُ صاحب المرقاة صحيحٌ من جانب أن منع الأبصار من الرؤية هو أحد معاني الحجاب، وكذلك ما ذكرهُ من استحالة الإحاطة بذات الباري تعالى في الدنيا والآخرة فهذا المعنى صحيحٌ أيضاً، لكن الخطأ كل الخطأ في قصر معنى الحجاب على منع الأبصار فقط وحصرُهُ فيه فحسب، لما في ذلك من المعارضة للنصوص الصحيحة الثابتة.

فيُردُ على ذلك بأنه لا تنافي بين معنى الحجاب الذي أورده بعض المتكلمين بمعنى منع الرؤية عن العباد بعدم خلق الإدراك في أبصارهم وبين ثبوت الحجاب حقيقة لله رب العالمين، فالأول أمرٌ والآخر أمرٌ ثاني وكلا الأمرين مستقلٌ بعضها عن بعض. وإلى الأول يشير قوله سبحانه: ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢]، وقوله ﷺ حين قال في مَعْرِضِ خطبته عن الدجال في الحديث الذي صححهُ الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «..وأنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا»[٢]، وإلى الثاني تشير نصوص الحق المثبتة لحجاب الباري سبحانه.

ولعل الأمر يتضح بما ذكرهُ شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث يقول: «وفي جانب الربوبية يكون بكشف حُجبٍ ليست متصلة بالعبد كما قال النبي ﷺ: "حجابُهُ النور أو النار لو كشفهُ لأحرقت سُبحات وجهه ما أدركهُ بصره من خلقه"، فهي حُجبٌ تحجب العباد عن الإدراك كما يحجب الغمام

(١) علي بن سلطان محمد القاري، تحقيق: جمال عيتاني، ط ١، ١٤٢٢هـ، دار الكتب العلمية، بيروت. جـ ١، ص ٢٦٦.

(٢) صحيح الجامع رقم (٢٤٥٩)، وقال حديثٌ صحيح.

والسقوف عنهم الشمس والقمر، فإذا زالت تجلت الشمس والقمر... ويدل على ذلك الحديث الصحيح: "إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى منادٍ: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن يُنجزكموه فيقولون: ما هو؟! ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟!، قال: فيُكشف الحجاب فينظرون إليه، فما أعطاهم شيئًا أحب إليهم من النظر إليه وهي الزيادة"»[١].

كما أن دلالة الكشف في قوله ﷺ «لو كشفه»؛ صريحة في إثبات وجود ما يحتاج إلى الكشف والرفع وهو الحجاب، ولا مجال هاهنا لتأويل هذه اللفظة الصريحة، وهي ترد على سائر التأويلات التي اقتصرت على تناول المعنى اللغوي وهو «المنع»، وعليه فالكشف لا يكون إلا لما هو ساتر، وأما ما لا وجود له أصلاً فكيف يكون كشفهُ؟! يقول شيخ الإسلام: «إن ألفاظ الحديث صريحة في الحجاب المانع من الرؤية، كقوله ﷺ: "فيكشف الحجاب فينظرون إليه فما أعطاهم شيئًا أحب إليهم من النظر إليه، وهو الزيادة"، وفي رواية "فيتجلى لهم" ولا يجوز تفسير النظر هنا بالإحسان لقوله: "فما أعطاهم شيئًا أحب إليهم من النظر إليه"؛ ولأن اقتران كشف الحجاب بالنظر صريح في الرؤية»[٢]؛ فهذا من جانب.

ومن جانبٍ آخر أن التأويل الذي ذهب إليه أهل الكلام يقتصر على معنىً جزئي يتعلق بعدم خلق الرؤية والإدراك في أبصار الخلق وهذا لا يقوم

---

(١) مجموع الفتاوى، جـ٦، ص ١١.

(٢) بيان تلبيس الجهمية، جـ٢، ص١٤٢١.

مقام الكشف، فهو وإن كانت الصحة تواتيه من جانب إلا أن صراحة النصوص تعارضه من أكثر من جانب.

ولشيخ الإسلام هاهنا ملحظٌ موفقٌ ودقيق -وهو ما ذكرناهُ آنفاً[١]-، ويستند إلى دلالة اللغة، حيث يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الوجه الثاني: أنه قال: "حجابه النور أو النار لو كشفها"، لم يقل لو كشف عنها، وكشف الشيء إزالته ورفعه، والكشف عنه إظهاره...»[٢].

ويؤيد ما ذكرناه من لازم الكشف، قصة تجلي[٣] الرب سبحانه للجبل حين طلب موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الرؤية، والتجلي لا يكون إلا لمحجوبٍ متواري، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١].

كما أن المقصود بكشف الشيء إزالته، أو رفعه، وهذا لا يُوصف به المعدوم، فإن المعدوم لايزال ولا يُرفع وإنما يُزال ويرفع الموجود، ومنه

(١) انظر: ص٩ من هذا البحث.

(٢) بيان تلبيس الجهمية، جـ٨، ص١٥٠.

(٣) التجلي جزء من معاني الكشف، ففي اللغة: جلَّى الأمر جلاء أي كشفه، وجلَّى النهار الظلمة أي كشفها، وجلَّى الهم والأمر عنه أي كشفهُ كذلك. وعليه فمعنى تجلي الرب سبحانه للجبل، إذا أخذنا في الاعتبار ما تقدم من أدلة تثبت صفة الحجاب له تبارك وتعالى، لا يفيد إلا الكشف بمعنىً جزئي وهو ما فسر به بعض الصحابة-كابن عباس وأنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ- الآية الكريمة، من أنه كان بمقدار طرف الخنصر. والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧] ، وقوله سبحانه: ﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ﴾ [النمل: ٦٢][1].

- **شُبهُ الإشكال في معنى الحجاب عند المتكلمين:**

إننا إذا تأملنا ما أورده المتكلمون من تأويلاتٍ لمعنى الحجاب المذكور في الحديث خصوصاً والحجب بعموم، نجد أنهم إنما سلكوا ذلك **السبيل لشُبهةٍ أساسية؛ وهي تنزيه الله عن الجسمية؛** فجعلوا معاني الحجاب عائدة إلى الخلق لا الخالق عَزَّوَجَلَّ، وقد اختلفت تعبيراتهم في ذلك:

١) فذهب البعض إلى أن **معنى حجاب الله ﷻ مجازي**، حيثُ يلزم من إثباته حقيقةً إثبات معاني الاحتواء والاستتار التي هي من صفات الأجسام عندما تكون محجوبة، وهذا المنحى يُمثِّلهُ ابن فورك ومن سار على نهجه كما مرَّ آنفاً وكما سيأتي.

٢) وذهب البعض إلى أن **معنى الحجاب هو وصول آثار إحسانه للخلق؛** لأن الحجاب في حقيقته –عندهم– هو الجسم المتوسط بين جسمين، ويلزم منهُ أن يكون أكبر من المحجوب وإلا لم يستره؛ فقاسوا على حُجب الدنيا مما أفضى بهم إلى تأويل معنى حجاب الرب عَزَّوَجَلَّ، وهذا المنحى يُمثِّلهُ الرازي وصاحب إيضاح الدليل كما سيأتي.

٣) وذهب بعضٌ آخر إلى أن **معنى الحجاب هو عدم الإدراك أو منع الأبصار من الرؤية،** لأن إثبات الحجاب يلزم منهُ إثبات المحدودية التي هي

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية، جـ ٨، ص ١٢١.

من صفات الأجسام، وهذا المنحى يمثله رأي النووي وصاحب مرقاة المفاتيح.

والحق أن من تأمل آراء المتكلمين بشأن ما جنحوا إليه من التأويلات المختلفة، يجد أن السبب فيها واحد، **حيثُ قاسوا على حُجب الدنيا**، وإن تفرعت تنظيراتهم وتعليلاتهم في ذلك. فالاحتواء، والتوسط، والإحاطة، والكبر، والمماسة، والمحادة المكانية؛ كُلها معانٍ تشتمل عليها حُجُب الدنيا.(١)

يقول الرازي: «وحقيقة الحجاب بالنسبة إلى الله تعالى محال؛ لأنهُ عبارة عن الجسم المتوسط بين جسمين آخرين»(٢)، وكذلك صاحب إيضاح الدليل رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «اعلم أن كل ما جاء في الحديث من الحجاب أو الحجب فمعناهُ راجعٌ إلى المخلوق لا إلى الخالق تعالى.. وأما الرب تعالى فيستحيل أن يكون محتجباً أو محجوباً؛ لأن الحجاب أكبر من المحجوب، وإلا لم يستره»(٣).

(١) هذه الخصائص التي فهمها المتكلمون من معنى الحجاب، وبنوا على ذلك أن الحجاب لا يكون إلا للأجسام، وكما هو معلوم أن ضابط تنزيه الباري سبحانه-عند المتكلمين – قائمٌ على نفي الجسمية والتشبيه عنه تعالى. ومعلومٌ أيضاً أن النصوص المقدسة الشريفة لم تورد ذلك اللفظ – أعني الجسمية-، وإنما هو مما استُحدث لدى المتكلمين مؤخراً نتيجة تأثرهم بالفلاسفة وأهل الأهواء من مختلف النحل والملل التي انفتح عليها المجتمع الإسلامي آنذاك.

(٢) أساس التقديس، ص ٨١.

(٣) ص ١٨٨ . وهذان القولان – أقصد كلام الرازي وابن جماعة-يمثلان مذهب الأشاعرة.

وينبني على هذا القول أن لا حقيقة لحجاب الرب تعالى وإنما المراد المنع المجازي وهذا ما يوضحه بجلاء كلام ابن فورك الذي ساقه حكايةً عن أهل الاعتزال: «.. ولذلك عطلت المعتزلة في قولهم: إن الباري سبحانهُ لا يُرى؛ لأجل أنه لو كان مرئيـًا لرأيناه الساعة لارتفاع الحجاب والبُعد واللطافة والرقة، وذلك أن ما قالوا أنه حجابٌ ومنع فليس بحجابٍ ولا منع على الحقيقة وإنما يُطلق عليه مجازاً لأجل أن المنع يحدث عنده».. ويعقب: «فعلى ترتيب تأويل هذه الأخبار الواردة بلفظ الحجاب ويُحقق أن الله عز وجل لا يصح أن يكون محجوبـًا على الحقيقة، وإنما هو مانعٌ خالقٌ للحجاب، فيُضاف الحجاب إليه على معنى أنه جعله حجابـًا لمن حجبهُ به من طريق الفعل لا من طريق الاستتار والاحتواء عليه»[(١)].

فعند التحقيق مؤدى القولين واحد وهو إفادة معنى النفي، والخلاف فيمن يُضاف إليه المعنى عند كلا الفريقين، فالأشاعرة يرون الحجاب بمعنى عدم خلق الرؤية بأعين الخلق، والمعتزلة يرون معناه منع الباري تعالى خلقه من رؤيته بطريق الفعل منه عز وجل لا الاستتار الذي يتضمن معاني الاحتواء.

وقد رد شيخ الإسلام على هذه الدعوى بقوله: «إن من تأمل نصوص الكتاب، وما ورد في ذلك من الآثار عن الصحابة والتابعين علم بالضرورة علمـًا يقينـًا لا يستريب فيه، أن لله عز وجل حجابـًا، وحجبـًا منفصلة عن

---

(١) مشكل الحديث وبيانه، ص٢١٨.

العبد، يكشفها إذا شاء، فيتجلى، وإذا شاء لم يكشفها، وإذا كان الحجاب هو الجسم المتوسط بين جسمين فلازم الحق حق. لا يُمكن أن يُدفع ما عُلم بالاضطرار من دين المرسلين بمثل نفي هذا الكلام الذي قد تبين أن نفيه من فاسد الكلام، وأن الحُجة لمثبتيه أقوى منها لنافيه في الفطرة والشِرعة والنظر والخِصَام»[١].

والمقصود أن المعهود الذهني في معنى الحجاب، والمعلوم من لغة العرب؛ لا ينفك عن معنى توسط جسم أو ستر مانع بين شيئين، وجاءت الأحاديث والنصوص تُثبتُ للرب سبحانهُ وتعالى حجاباً؛ دون تعرض لمثل ما ورد من أقاويل أهل الكلام، فلا يُدفع ما عُلم من الدين بالضرورة لتلك الأوهام العقلية التي اخترعها أهل الكلام وليس لها في الشرع أي مُستند، وإنما المعوَّلُ عليه ما هو معهودٌ في الأذهان من المعاني التي أقرتها لغة العرب التي نزل بها القرآن الكريم، والفطر السوية تُقرُ بذلك وتعترف دون أدنى اعتراضٍ أو معارضة.

ويقول رداً على دعوى تنزيه الرب ﷻ عن الجسمية: «... قد تقدم أنه ليس في العقل، ولا في الشرع ما ينفي الجسم، وأن إطلاق القول بأن الله عز وجل ليس بجسم، ولا جوهر بدعة باتفاق سلف الأمة وأئمتها، بل ذلك أعظم ابتداعاً من القول بأنهُ جسم وجوهر، وإذا كان هذا النفي بدعة باطلة: لم يكن ذلك معارضاً لما ثبت بالكتاب والسنة»[٢].

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، جـ٢، ١٤١٩.

(٢) المرجع السابق، جـ٢، ص١٤١٩.

أوجهٌ أخرى من الرد:

١/ أن المعنى المستفاد من الدلالة اللغوية للحجاب هو الستر والمنع، بقطع النظر عن مطلق الكيفية التي اكتسبناها بطريق الخبرة الحسية لنا معاشر البشر – كالكبر والمماسة والاحتواء – ومن ثم فلا وجه للمقارنة بين الحجب المعهودة لنا وبين حجاب الرب تبارك وتعالى، كما لا وجه لمقارنة ذاته القدسية بأي ذاتٍ أخرى. وكما هو معلوم بالضرورة من الدين وفق الأثر الشريف الذي يقرر أنه ليس في الجنة مما في الدنيا شيءٌ إلا الأسماء[١]؛ إذ البون شاسع بين حقائق الدنيا وحقائق الآخرة، وكلاهما مخلوق – فكيف بالخالق سبحانه خالق الكل وموجده؟! لذا فالحجاب حقٌّ ثابت ومعناه يفيد الستر والمنع لكن الكيفية الرب أعلم بها.

لذا نجد التساؤل الاستنكاري الذي أورده شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ حول ما ذكره ابن جماعة وغيره من أوصاف الحجاب، ومنها الكبر، فيقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من أين يجب أن يكون أكبر منه؟!»[٢].

وهو تساؤل على قدرٍ كبير من المنطقية، وعليه فإن قالوا علمنا ذلك مما أحدثته التجربة عندنا!، قلنا ليست التجربة والخبرة الحسية عندنا مقياسٌ لما وراء الغيب، خصوصاً وقد حكا الأثر بأن ليس في الجنة مما في الدنيا شيء سوى الأسماء، هذا في شأن المخلوقين، فكيف بالخالق تبارك وعز، فاعتقاد

(١) يروى هذا الأثر عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. انظر: تفسير الطبري لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، د.ط، ١٤٠٥هـ، دار الفكر، بيروت، جـ١، ص١٧٢.

(٢) بيان تلبيس الجهمية، جـ٨، ص١٥٤.

ذلـك يتأكـد ضـرورة[١]. قـال تعـالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ثم يوضِّح رَحِمَهُ ٱللَّهُ تهافت هذا الزعم بقوله: «والتحقيق أن قولهم: ما سترهُ الحجاب فالحجاب أكبر منهُ ليس بسديد، سواء كان الحجاب يحجب الشيء عن أن يراهُ غيره، أو يحجبه أن يرى غيره،... فإن الشيء الصغير إذا وُضِع قريباً من عينه حجبهُ أن يرى شيئاً من الأشياء، والشيء الكبير إذا كان بعيداً من الرائي حَجَبَهُ ما هو أصغر منهُ بكثير، كما يحجب الشمس سحابة، وإن كانت الشمس بقدرها مرات لا يعلمها إلا الله تعالى»[٢].

وحول هذا المعنى – أي المفارقة بين مدركاتنا الحسية وبين صفات الباري سبحانه – يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وحجاب الرب تبارك وتعالى نور وهو نار وهذه الأنواع كلها حقيقة بحسب مراتبها، فنور وجهه حقيقةً لا مجاز، وإذا كان نور مخلوقاته كالشمس والقمر والنار حقيقة فكيف يكون نوره الذي نسبة الأنوار المخلوقة إليه أقل من نسبة سراجٍ ضعيف إلى قرص الشمس، فكيف لا يكون هذا النور حقيقةً ؟!»[٣].

ولو أردنا أن نعقد نوعاً من المقارنة البسيطة بالنظر إلى المعنى المكتسب لدينا، عن مفهوم الحجاب سنقول – ولله تبارك وتعالى المثل

(١) أقصد اعتقاد مغايرة الصفات الإلهية لصفات المخلوقين فيما عدا الأسماء.

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ص١٤٢٧.

(٣) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية المعطِّلة، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، د.ط، ١٤٢٢هـ، دار الحديث. جـ١، ص٤٢٤.

الأعلى -: بحسب تجاربنا فالحجاب يحجب المحجوب عن الرؤية والإدراك، وهذا يمتنع في حق الباري سبحانه إذ هو مطلع على عباده ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء. وهذا المعنى يمهد للمغايرة في سائر سمات الحجاب حتى لا يبقى غير المسمى والمعنى الذي يفيده وهو الستر، تأكيداً على القاعدة المذكورة سابقاً والتي تؤكدها النصوص الكريمة كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فيدخل في ذلك المعنى جميع الصفات الإلهية، ومنها صفة الحجاب. ليس بينها وبين صفات المخلوقين غير مقدار التشابه في المسميات فحسب.

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض بيانه لصفة حُجب الباري سبحانه: «.. وأما حجبها لله عن أن يَرى ويُدرِك فهذا لا يقوله مسلم، فإن الله لا يخفى عليه مثقالُ ذرةٍ في الأرض ولا في السماء، وهو يرى دبيب النملة السوداء على الصخرةِ الصماء في الليلة السوداء، ولكن يحجب أن تصل أنواره إلى مخلوقاته كما قال: "لو كشفها لأحرقت سُبحات وجهه ما أدركهُ بصره من خلقه"، فالبصر يدرك الخلق كلهم وأما السبحات فهي محجوبة بحجابه النور أو النار»(١).

فالحجاب ثابت، وقد يكون «نوراً يحجبه عن خلقه، كما قال ﷺ في الحديث: "حجابه النور أو النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصرهُ من خلقه"»(٢)، وكما ورد في خبرٍ آخر يُفهم أن لذلك النور عدداً أو

(١) مجموع الفتاوى، جـ٦، ص ١١.

(٢) دقائق التفسير لشيخ الإسلام بن تيمية، تحقيق: محمد الجليند، ط٢، ١٤٠٤هـ، مؤسسة =

مراتب، وليس شيئًا واحداً، فقد جاء فيه: «حجابهُ النور لو كشف طبقهُ لأحرق سبحاتُ وجهه كل شيءٍ أدركه بصره»(١)، والطبق كما يبين صاحب النهاية في غريب الأثر: كل غطاء لازم على شيء(٢).

وبناءً على ما سبق فإن حجاب الباري سبحانه ثابتٌ حقيقة بدلالة النصوص الشريفة التي دلت عليه صراحةً، وعليه فليس لنا إلا التسليم والإيمان بما ورد به النص دون إعمال عقل في كيفية ذلك، لأن محاولة الإحاطة بعلم ذلك محال حيث يقول الباري تقدس: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، وليست محاولات التأويل ليتفق ذلك مع دلالة العقل القاصرة إلا محاولةً للإحاطة!، من هنا ندرك فقه من قال: «العجز عن دَركِ الإدراك إدراك»(٣).

=

علوم القرآن، دمشق، جـ ٢، ص ٤٨٢.

(١) رواهُ ابن خزيمة في صحيحه بلفظ «لو كشف طِباقَها»، وقال صحيح الإسناد.

(٢) جـ ٣، ص ١١٣.

(٣) معنى العبارة كما يُفهم منها؛ أن إدراك المرء وعلمهُ بقصور عقلهِ عن إدراكِ كنه ما لا يستطيع إدراكه، وبالتالي توقفه في ذلك بعدم إقحامه فيما ليس له أن يخوض فيه، هو في حدِّ ذاته إدراكٌ يُحمدُ لصاحبه لا وصف نقصٍ أو ذم.-فتعني ضمناً إقراراً بالجهل بما لا يُدرك-. وقد نُسبت العبارة لأبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في عدد من كتب أهل العلم، في حين أن شيخ الإسلام يذكر-وهو من أعلام المحققين-أن هذه العبارة لم تُحفظ عن الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، يقول: «قال-يقصد ابن عربي-: فمنا من جهل في علمه فقال: العجز عن درك الإدراك إدراك وهذا الكلام مشهور عندهم نسبته إلى أبي بكر الصديق فجعله جاهلا وإن كان هذا اللفظ **لم يحفظ عن أبي بكر ولا هو مأثور عنه في شيء من النقول**

=

ثانياً: ما يتعلق بصفةِ الوجه:

وأما الوجهُ الأكرم: فأهل السنة والجماعة يُثبتون صفة الوجه لله سبحانه وتعالى – كما يليق به تبارك وعز –، يقول شيخ الإسلام: «ومما تعرف الله إلى عباده أن وصف نفسه أن له وجهاً موصوفاً بالجلال والإكرام، فأثبت لنفسه وجهاً»(١).

فللّه تبارك في علاه وجهٌ حقيقيٌ يليق به، كما أخبرنا بذلك سبحانه في محكم تنزيله، وهو وحده تبارك أعلم بذاته من غيره، ونحن نؤمن بذلك إيماناً جازماً بتصديقٍ لا يخالجه أدنى ريب تصديقاً لخبره سبحانه دون تكييف أو تأويلٍ أو تعطيل، قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وقال عز من قائلٍ سميع عليم: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨]. وقال عَزَّوَجَلَّ:

=

المعتمدة وإنما ذكر ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر نحوا من ذلك عن بعض التابعين غير مسمى وإنما يرسل عنه إرسالا من جهة من يكثر الخطأ في مراسيلهم». مجموع فتاوى ابن تيمية، جـ٢، ص٢١٥ .

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، جـ٥، ص٧٤. والقاعدة التي عليها أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات، كما يذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن «يُثبت الله ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات ويُنفى عنه مماثلة المخلوقات ويُعلم أن الله ليس كمثله شيء: لا في ذاته ولا في صفاته ولا أفعاله. فهذا مصيب في اعتقاده موافق لسلف الأمة وأئمتها. فإن مذهبهم أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل». مجموع فتاوى ابن تيمية، جـ٥، ص٢٦٣.

﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩]. وقال سبحانه: ﴿إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [الليل: ٢٠]. وغيرها من الآيات الكريمة.

ثالثاً: ما يتعلق بتردد الرواية بين النور والنار:

من أهم الإشكالات التي ترد في أذهان كثيرٍ من الناس عند ذكر هذا النص الشريف، توهم أن ثمة تعارض بين معانيه حيث ورد ذكر حجاب الرب سبحانهُ تارةً بلفظ النور وتارةً بلفظ النار، والحق أنه لا تعارض البتة في معنى الحديث كما بيَّن ذلك علماؤنا الأجلاء الثقات رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، وإنما الأمرُ عائدٌ إلى قصور أفهامنا معاشر البشر عن إدراك الفهم السليم للنص والذي يزول به الإشكال ووهم التعارض. وسنبين فيما يلي معنى كلٍّ منهما بحسب اللغة.

إذا تأملنا لفظتي النور والنار نجد أن من العلماء من يجعلونهما من قبيل المترادفات المعنوية، كالإمام القرطبي الذي ذهب إلى أن المقصود بالنار – في هذا الحديث– هو النور ذاته وإنما ذُكر بلفظ النار لأن العرب تجعلهما من قبيل المترادفات اللفظية، فيقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾ [النمل: ٧]: «.. فكانت النار نوراً وإنما ذكره بلفظ النار لأن موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ حسبهُ ناراً والعربُ تضع أحدهما موضع الآخر»[١].

(١) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، د.ط، د.ت، دار الشعب، =

وكذلك شيخ الإسلام الذي يفيد كلامُهُ معنى الترادف أيضاً حيث يقول: «فإن تردد الراوي في لفظ النار والنور لا يمنع ذلك، فإن مثل هذه النار الصافية التي كلّم بها موسى يُقالُ لها نارٌ ونور كما سمى الله نار المصباح نوراً بخلاف النار المظلمة كنار جهنم فتلك لا تُسمى نوراً، فالأقسام ثلاثة؛ إشراق بلا إحراق وهو النور المحض كالقمر، وإحراق بلا إشراق وهي النار المظلمة، وما هو نارٌ ونورٌ كالشمس ونار المصابيح التي في الدنيا تُوصف بالأمرين»(١).

وعليه فوفق هذا المعنى الذي ذكرهُ شيخ الإسلام والقرطبي من قبله؛ يُراد بالنار في الحديث الشريف تلك الصافية المشرقة التي لا تُحرق وهي نورٌ في ذات الوقت، وبهذا يكون المعنى واحداً - أي معنى النار والنور الواردين في الحديث - إذ لا فرق بينهما من حيث الإضاءة واشتداد وهج الإنارة.

غير أننا إذا أخذنا في الاعتبار بعض النصوص التي جمعت بين ذكر النار والنور في روايةٍ واحدة، فيُستفادُ من ذلك أن اختلاف لفظتي الحديث حول ماهية الحجاب قد لا يكون بسبب تردد الراوي كما ذكر شيخ الإسلام، وإنما قد يكونُ اللفظان كلاهما مما ورد عن النبي ﷺ، ولله ﷻ أن يحتجب بما شاء، كما لهُ أن يكشف ذلك الحجاب متى شاء أيضاً.

=

القاهرة. جـ١٣، ص ١٥٩.

(١) مجموع الفتاوى، جـ٦، ص ٣٨٧.

فسواءً كان المعنى ما أورده الإمام القرطبي أو خلافهُ فالعبرة بأنهُ لا إشكال ولا تعارض بين اللفظتين مع اتفاق الحقائق، فالنار نورٌ وفق القسم الثالث الذي ذكره شيخ الإسلام. فإن فقدت الإحراق الذي هو من أبرز خصائصها كانت نوراً محضاً وإن اختلف الإطلاق والتسمية، ولعل هذا ما عناهُ الإمام القرطبي في تفسيره وبهذا ينتفي وهم التعارض بين الروايتين.

لكن يبقى السؤال: ممَّ يكون الإحراق عند كشف الحجاب؟!؛ من نور سُبُحات وجه العظيم تبارك في علاه. فيبقى الإشكال قائماً مع تعذر البت بحصر ماهية الحجاب في مادة النور فقط[1]. لأن نور سُبُحات وجه الباري سبحانه لو كشف حجابه لأحرقت جميع خلقه. وهو تبارك وتعالى الرحمن الرحيم البر الكريم، فلا يقول عاقل إن ذلك دليل النارية – تعالى

---

(١) لاسيما وأن الأحاديث المختلفة التي تثبت صفة الحجاب لله سبحانه وتعالى، قد أفادت معانيَ عدة. فمنها ما يذكر الظلمة والنور والظلمة والنار، ومنها ما يذكر الظلمة والنور والنار والثلج. وهي وإن ورد على بعضها إشكالات في السند أو المتن إلا أنه يُستفاد من مجموع معانيها – وبالنظر إلى اختلاف لفظي الروايتين في الحديث الذي نحن بصدده– أن حجاب الباري سبحانه ليس شيئاً واحداً. وعليه فلا إشكال في اعتقاد النار والنور معاً إن تناولناه من هذا الجانب، كما لا إشكال في الجمع بينهما أخذا بالروايات التي يفسر بعضها بعضاً إن تناولنا أحاديث النور والنار فحسب، إذ التعارض هاهنا متوهم في الأذهان ولا حقيقة له في الواقع. ثم تظل الحاجة إلى بحثٍ موسع شامل في هذه المسألة بالذات ماسة ومُلحة. راجع الروايات والأحاديث المثبتة لحجاب الباري عز وجل في كتاب بيان تلبيس الجهمية لشيخ الإسلام، جـ٨، من صفحة ١١١ إلى ١١٦.

الله علواً كبيراً –[١]، وإنما يمكن حل بعض الإشكال بما ذكره شيخنا العلامة ابن جبرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين سئل عن كيفية الجمع بين اللفظتين النور والنار؟، فقال: معروف أن الأصل أن النور من ضوء النار، هذا هو الأصل المعروف أنه لا يكون نور إلا من ضوء النـــار عادة، ولذلك قال تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور: ٣٥]. فلا مـــانع من أن يكون- يعني نوراً، ولكن لشدة إضاءته يكون فيه حرارة شديدة، ولذلك قال:لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجـــه ما انتهى إليه بصره من خلقــه أي أن من شدة ذلك النور قد يحرق حتى الجمادات وما أشبهها[٢].

وعليه فالجمع بين حقيقتهما رغم اختلاف المسميات يفيد اتحاد معنى الرواية –لمن تأمل– وإن اختلف اللفظ. فيبقى المعنى ما ذكرناه ابتداءً في الجمع بين لفظتي النور والنار استناداً للغة، مع تأكيد أن النور قد يحمل خاصية الإحراق أحيانـاً كما هو الحال مع نور سُبُحات وجه الرب جل جلاله. والله تعالى أعلم وأحكم.

ومن هُنا نؤكد حقيقةً على الحاجة الماسة لمزيد من الدراسة في هذه

---

(١) هذا مذهبٌ منحرفي أهل الكتاب من اليهود، فنلحظه جلياً في نصوصهم التي لم يتورعوا فيها عن وصف إلههم بالنارية المحضة تحت تأثيرات وثنيات الأمم القديمة السابقة التي تأثروا بها. يقول النص الوارد في سفر التثنية الإصحاح الرابع فقرة (٢٤) «لأن الرب إلهك هو نار آكلة، إله غيور».

(٢) موقع سماحة الشيخ ابن جبرين رحمه الله تعالى:

http://www.ibn-jebreen.com/?t=books&cat=7&book=81&page=4898

المسألة، إذ العرض القصير – كما هو الحال في هذا البحث – سيظل من القصور بمكان للإجابة الوافية الشافية والمتسمة بشيءٍ من الشمولية. علماً أن ما تم ذكرُهُ من المعاني السابقة للجمع بين الروايتين المظنون تعارضهما، تفي بالغرض في هذا المقام [(١)]، وهو إزالة وهم التعارض الحاصل في أذهان

---

(١) إن الغرض في هذا المقام هو الجمع بين الروايتين الصحيحتين، بإزالةِ وهم التعارض الحادث لدى البعض بين لفظتي النور والنار. حيثُ اتفق لفظ الحديثين في إطلاق صفةِ الحجاب لله ﷻ فجاء وصفهُ تارة بلفظ النور، وتارة بلفظ النار. وللعلم فهناك نصوص أخرى قد جمعت لفظتي النور والنار في سياقٍ واحد وأنهما من حجب الباري عَزَّوَجَلَّ، كما في النص الذي يروي أن الله احتجب عن خلقه بنار وظلمة ونور وظلمة. فهنا ورد لفظ النار والنور سوياً في متنٍ واحد، لذا فلا يمكن اعتقاد أنهما من قبيل المترادف أو مما يفسر بعضه بعضاً، وإنما قد يقال بأن النار مقصودة حقيقة، ولله تعالى أن يفعل ما يشاء وأن يتخذ ما يشاء من الحجب بينه وبين عباده. ثم تبقى المطالبة بأبحاثٍ ودراساتٍ مستفيضة وافية في هذا الشأن، خصوصاً وأن ثمة سؤال يفرض نفسه بقوة: لم لا يستطيع العقل تصور أن حجاب الرب سبحانه نار؟ هل لأن المنطبع في الذهن البشري أن النار رمز الشر وآلةُ التعذيب والألم؟! ربما يكون هذا وارداً! لذا أشكل على الكثير ذلك الأثر الذي يروي انزواء النار عند وضع الجبار قدمه فيها تبارك وتقدس، ولكن يبقى أمرٌ مهم جداً، وهو أن القوانين التي نخضع لها أو تفوق قدرتنا كبشر – كسلطان النار وخاصية الإحراق فيها –، تبقى مقهورة بقهر خالقها سبحانه وتقدس، والله تبارك وتعالى يخلق ما يشاء ويختار، هو من أودع فيها تلك الخاصية، كما أنه الذي اختارها وجعلها داراً لعذابِ أعدائه، فالكل تحت قهره وسلطانه، والنار ليست سوى مخلوقٍ مثلنا وإن اتسمت بما لا طاقة لنا به، ولعل الأثر الذي يروي جأرها إلى الرحمن تقدس «يارب أكل بعضي بعضاً...»، يبين لنا مدى ضعفها أمام سلطان خالقها وقهره وجبروته. ولرحمته أذن لها بنفسين، نفس في الشتاء وآخر في الصيف، فلولم يأذن لها ترى كيف يكون الحال؟! سبحانك ربنا ما أعظمك، سبحانك تباركت ربنا وتعاليت.

البعض نحو بعضِ الأحاديث الثابتة المتكافئة صحة ودلالة، فنسأل الله تعالى أن ينفع به.

رابعاً: في معنى قولهُ ﷺ: «ما انتهى إليهِ بصرهُ من خلقه»:

لقد كان مما أشكل على كثيرٍ من الناس في هذا الحديث الشريف قوله ﷺ: «ما انتهى إليه بصرُه من خلقه»، حتى حدا ببعضهم إلى أن يُرجعوا الضمير فيه – أي في بصره – إلى المخلوق لا الخالق سبحانه وتعالى، لكنّا إذا أخذنا بمجموع ألفاظ الحديث الواردة في هذا المقام، فإن المعنى يتضح بجلاء؛ إذ الحديث يفسِّر بعضه بعضاً كما أن القرآن يفسر بعضه بعضاً.

وأما المراد بما انتهى إليه بصره من خلقه؛ فنذكر بعضاً من شرّاح الحديث في ذلك:

١) «**(ما انتهى إليه بصره)**؛ أي كل مخلوق انتهى إلى ذلك المخلوق بصره تعالى، ومعلوم أن بصره محيط بجميع الكائنات مع وجود الحجاب فكيف إذا كشف؟ فهذا كناية عن هلاك المخلوقات أجمع»[1]، وإلى ذات المعنى ذهب أيضاً النووي موافقاً أهل السنة، فذكر أن المراد بذلك: **جميع المخلوقات؛ لأن بصرهُ سبحانهُ وتعالى محيطٌ بجميع الكائنات** ولفظة «من» لبيان الجنس لا للتبعيض[2].

---

(١) حاشية السندي على ابن ماجه، لأبي الحسن الحنفي الشهير بالسندي، د.ط، د.ت، دار الجيل، باب فيما أنكرته الجهمية، جـ١، ص٨٦

(٢) شرح النووي على مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ «نور أنى أراه»، وفي قوله =

٢) **ونقل شيخ الإسلام كلاماً للقاضي أبي يعلى**: «فأما قوله كل شيءٍ أدركه بصره من خلقه. **معناه أن نور وجهه يحرق ما يدركه من خلقه**»[١].- ثم عقَّب بقوله-: «وهذا يطابق معنى الحديث، حيث أخبر أن حجابَهُ النار، أو النور، **وأنهُ لو كشف ذلك الحجاب لأحرقت سُبُحاتُ وجهه التي حجابها النور أو النار ما أدركهُ بصرهُ من خلقه، قال: نور سُبحاته تحرق ما أدركهُ بصرهُ من خلقه**، وقد تقدم أن أبا عبيدة بن عبد الله بن مسعود كان إذا روى هذا الحديث عن أبي موسى يقرأ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٨]»[٢].

٣) وإلى ذلك ذهب شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث يقول: «**فالبصر يدرك الخلق كلهم** وأما السبحات فهي محجوبة بحجابه النور أو النار»[٣]، وكذلك الإمام المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله: «**والمراد بما انتهى إليه بصرهُ: جميع المخلوقات لأن بصرهُ سبحانهُ محيطٌ بجميع الكائنات**، والتقدير: لو زال المانع من رؤيته وهو الحجاب المسمى نوراً وتجلى لخلقهِ لأحرق جلالُ ذاته جميع مخلوقاته»[٤].

=

«رأيت نورا».

(١) بيان تلبيس الجهمية، جـ٢، ص١٤٢٤.

(٢) المرجع السابق، جـ٢، ص١٤٢٤.

(٣) مجموع الفتاوى، جـ٦، ص ١١.

(٤) أقاويل الثقات للإمام مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط١، ١٤٠٦هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت. ص ١٤٧.

٤) **وقيل المراد**: ما انتهى بصره إلى الله تعالى؛ **أي كل من يراه يهلك،** فكأنهم راعوا أن الحجاب مانع عن أبصارهم فعند الرفع ينبغي أن يعتبر أبصارهم، وإلا فإبصاره تعالى دائم فليتأمل[١]، وهذا المعنى قررهُ شيخ الإسلام في السياق الذي أوردناهُ آنفًا؛ من أن معنى (حجابه) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو ستر الرؤية والإحراق لا العلم والإبصار والإدراك[٢].

٥) وقال ابن الأثير: «**أي لو كشفها لأحرقت كل شيء أدركه بصره** فكأنه قال: لأحرقت سبحات الله كل شيء أبصره... وأقرب من هذا كله أن المعنى: لو انكشف من أنوار الله التي تحجب العباد عنه شيء **لأهلك كل من وقع عليه ذلك النور،** كما خر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ صعقًا، وتقطع الجبل دكا لما تجلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ»[٣].

٦) أن المراد بقوله ﷺ «**ما انتهى إليه بصره من خلقه**»؛ **أي جميع خلقه.** يقول الأمام الجزري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأقرب من هذا كله أن المعنى لو انكشف من أنوار الله التي تحجب العباد عنه شيء لأهلك كل من وقع عليه ذلك النور...»[٤].

٧) وقيل: **المراد بالبصر النور**؛ والمعنى: أي كل مخلوق انتهى إليه نورهُ

---

(١) حاشية السندي على ابن ماجه، جـ١، ص٨٦.

(٢) راجع مطلب معنى الحجاب عند أهل السنة من هذا البحث.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، جـ٢، ص٣٣٢

(٤) النهاية في غريب الأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، د.ط، ١٣٩٩هـ، المكتبة العلمية، بيروت، جـ ٢، ص٣٣٢.

تعالى[١]. وقوله: من خلقه؛ على الوجوه بيان لما في قوله ما انتهى إليه بصره[٢].

ورغم أن هذا الرأي الأخير الذي ذكرهُ الشارح فيه تأويل للفظ «البصر»، إلا أن المعنى المذكور حاصل دون حاجة للجوء إلى التأويل، ولذلك قال: «وقوله: من خلقه؛ بيان لما في قولهِ: ما انتهى إليه بصره». فيردُ على ذلك: بأن كل ما أدركهُ بصرهُ من خلقه سيحترق لو كُشف الحجاب لأنهُ سيقع عليه من أنوارِ الجلال والعظمة الإلهية، ومن ثمَّ فلا حاجة للتأويل في هذا المقام.

يقول شيخ الإسلام: «قال ﷺ: "حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه"، فأخبر أنه حجب عن المخلوقات بحجابه النور أن تدركها سبحات وجهه، وأنه لو كشف ذلك الحجاب لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه فهذا الحجاب عن إحراق السبحات يبين ما يرد في هذا المقام»[٣].

فيكون المعنى؛ أن حجاب الباري سبحانهُ هو النور أو النار، لو كشفه تبارك وعز – أي لو رفع ذلك النور أو النار –، لأحرقت أنوارُ وجههِ وجلالهُ وعظمتهُ وبهاؤهُ جميع مخلوقاته تبارك في علاه. فالحجاب من رحمة الله تعالى بخلقه، إذ لن يستطيع أحد تحمل رؤية الله سبحانه وتعالى في هذه الدار الفانية. أما يوم القيامة فبخلاف ذلك.

(١) انظر: حاشية السندي على ابن ماجه، جـ١، ص٨٦.

(٢) انظر: المرجع السابق، جـ١، ص٨٧.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية، جـ٦، ص٣٩٦.

يقـول الإمـام الشـنقيطي: «وقـد تـواترت الأحاديـث عـن النبـي ﷺ أن المؤمنـين يـرون ربهـم يـوم القيـامة بأبصـارهم، وتحقيـق المقـام في المسـألة: أن رؤية الله جل وعلا بالأبصار، جائزة عقلاً في الدنيـا والآخـرة، ومن أعظم الأدلة على جـوازها عقـلاً في دار الدنيـا قـول موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ [الأعـراف: ١٤٣]؛ لأن مـوسى لا يخفـى عليـه الجـائز والمستحيـل في حق الله تعالى، وأما شرعـًا فهي جائزة وواقعة في الآخـرة كما دلـت عليـه الآيات المـذكورة، وتـواترت بـه الأحـاديث الصحاح، وأما في الدنيـا فممنوعة شرعـًا كما تدل عليـه آية الأعـراف هـذه، وحديث "إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا"[(١)]»[(٢)].

ونخلص من ذلك إلى أن **انتهاء البصر إلى الخلق** يُراد به معنى الإحاطة والشمولية، والدليل في ذلك:

١) دلالة النصـوص الشريفة التي تثبت أزليـة الوجـود الإلهـي الـذي لـم يسبقه ولا يلحقهُ عدمٌ بحالٍ البتة، والصفاتُ الإلهية متعَلقـةٌ بالـذات القدسية تبارك ربنا وتعالى.

٢) دلالة اختلاف ألفاظ الحديث التي تُفسر بعضها البعض.

٣) دلالـة بعـض الخلـق، فـإن أهـل الجنـة يـدخلون الجنـة خالـدين فيهـا،

---

(١) صححهُ الألباني في صحيح الجامع برقم ٢٣١٢.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد بـن المختـار الشـنقيطي، د.ط، ١٤١٥هـ، دار الفكر، جـ٢، ص٤٠.

فصفاتهم دائمةٌ أبداً بدوام وجودهم وأجسادهم التي لها من القوة والقدرات المختلفة ما ليس لأجساد الدنيا، وإذا كان الباري قد أخبر عن حال الميت المنتقل إلى حياة البرزخ بأن بصره حديد فأهل الجنة ستكون أبصارهم أحدّ وأشدّ؛ لأن مرحلة التبوء ودخول الجنة أكمل مراحل الحياة التي تحياها البشرية خلال أطوارها الأربع. فكل هذا وخلافه – وإيرادنا هنا في معرض سوق الدليل العقلي لا الشك إطلاقـاً في عدم نهائية الصفات القدسية – إن ثبت للمخلوق، فالباري أولى بما هو أكمل منه وأتم.

المطلب الرابع

الثمرات التربوية والإيمانية المستفادة من الحديث الشريف

إن مما يُستفاد من جملة نصوص الصفات الإلهية، أمورٌ هي من الأهمية بمكان، إذ هي زاد المرء الإيماني، بها تهذيب سلوكه ووجدانه وتربية قلبه وروحه ونفسه، كيف لا وقد وُفق أحدهم – لله دره - ليقول مقالةً سديدة صاغها في تساؤل: «وهل الدينُ إلا الأدب مع الله؟!».

إننا إذا تأملنا تلك النصوص الإيمانية الشريفة نلحظ ذلك بجلاء، فهي أداةُ زيادة الإيمان حقـًا، لمن وُفق بهدايتها– فسبحان ربنا الرحمن -، ولعلي هاهنا أذكر بعض الثمرات الإيمانية لهذا النص الشريف المبارك، ولن أفي إحاطةً، ولكن أخذ القليل خيرٌ من ترك الجميع، وعلمُ البعض فتحٌ إن شاء الله لفقه الأكثر، من هذا المنطلق أقول وبالله المستعان:

١) أن الباري سبحانه وتعالى رقيبٌ على كل شيء، حفيظٌ لعباده وخلقه، هو الحي الذي لا يموت، قد تنزه سبحانه وتعالى عن النوم والسِّنة، وهذا أدعى لأن يعظم المرء شأن خالقه في قلبه، ويرقبه على كل حال؛ إذ لا يخفى على المليك سبحانه شيء في الأرض ولا في السماء.

٢) كما يستفاد أيضـًا أن يعلم الإنسان مدى ضعفه وعجزه، وبالتالي يتيقن أنه لا غنى له عن خالقه سبحانه، فيتوكل على الله في جميع أمره وشأنه، كيف لا وهو المخلوق الضعيف الذي لا يستطيع أن يحيا دون موتٍ أصغر قُدِّر عليه! لذا فذلك كله مما يدل على قدرة الرب سبحانه وتقدس، ومما يعظم شأن الخالق سبحانه في نفس وقلب المؤمن.

٣) مما يُستفاد أيضـًا أن الله تبارك وتعالى هو العدل، وبيده مقادير كل شيء. فكل يوم هو في شأنٍ سبحانه، يخفض القسط ويرفعه، فحريٌّ بالمؤمن أن يلجأ إلى خالقه سبحانه، ويسأله التوفيق والعون والسداد كل حين، ويتحرى أن يتصف بهذا الوصف العظيم في جميع معاملاته، فقد أمرنا خالقنا بالعدل والإحسان.

٤) ومما يُستفادُ أيضـًا أن أعمال العباد ترفع إليه تبارك وعز في أوقاتٍ معلومة، فيرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، وهذا يدفع المؤمن لأن يحرص على أداء ما وجب عليه من العبادات، لئلا يتعرض للعقوبة بتخلفه عن مواقيتها، وكما ورد في بعض الآثار «إن لله عملًا بالنهار لا يقبله بالليل، وعملًا بالليل لا يقبله بالنهار»[١]، ويؤيدُ ذلك –على سبيل المثال– ما ورد عنهُ ﷺ: «من ترك صلاةَ العصرِ فقد حَبِطَ عملُه»[٢]، وقوله ﷺ في روايةٍ أخرى: «مَن فاتَتهُ صلاةُ العصرِ حبطَ عملُهُ»[٣].

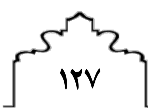
لذا فالثمرة بمعرفة ذلك تكون بالمسارعة إلى الطاعات والواجبات وأداءها بأوقاتها طلبـًا لمرضاة الله. فإن حدث تقصير من المرء أحيانـًا عن بلوغ ذلك، فليسارع إلى التوبة الصادقة وليكثر التقرّب إلى مولاه بحسن اعتذار شرعي – وهي هاهنا التوبة –، فلنتقن للاعتذار فنـًا!. تارةً ببذل

---

(١) أوردهُ شيخ الإسلام ضمن وصايا الصديق لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فقال: «وفي وصية أبي بكر الصديق لعمر بن الخطاب أنه قال: «إن لله حقا بالليل لا يقبله بالنهار، وحقا بالنهار لا يقبله بالليل». انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام، جـ٢٢ ص٢٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة «باب من ترك العصر».

(٣) صححه الألباني، صحيح الجامع، برقم ٥٧٤.



صدقة، وتارة بكثرة استغفار، وتارة بأخذٍ بنوافل، فإن الحسنات يذهبن السيئات.

٥) ومما يُستفاد من النص أيضاً، أن العظيم تبارك في عُلاه لن يُرى في حياتنا الدنيا، وهذا مما يحفز المؤمن ويستثير فيه الشوق لرؤية الله تبارك وعز، فيدفعه ذلك الشوق ليجتهد لنيل رضوان الباري تعالى، بالإقبال على العمل الصالح وترك ما هو مسخطة له سبحانه. فالامتثال لأوامره ونواهيه وأحكامه سبحانه وتقدس، سبيلٌ لرؤيته في دار الخلود. ولنتذكر أن أعظم الأماني الشوق للقيا الكريم سبحانه وهو عنا راض. فاللهم بلغنا ذلك يا رحيم، اللهم آمين.

٦) أن من رحمة الله تعالى بنا أن جعل بيننا وبينه حجاباً في هذه الدار الفانية، إذ لن تقوى المخلوقات على نور سبحات وجهه الكريم، فسبحان من كتب على نفسه الرحمة، وتبارك في ملكوته.

٧) أن جميع الكائنات والخلق خاضعٌ تحت قهر المليك تبارك في علاه وسلطانه، داخلٌ ضمن إحاطته وإدراكه وعلمه وسمعه وبصره تعالى، وهذا مما يزيدُ الخشوع في نفس المؤمن، ويعلم أنه ليس إلا كمثل الذرة في عالم الملكوت، ثم إن ربه كرّمه بالعقل وشرّفه بالديانة، فحريٌ به أن يرعى ذلك كله ويجتهد في سبيل نيل مرضاته سبحانه وإعلاء دينه القويم.

٨) أن معرفة صفات القدير سبحانه مما يزيد في الإيمان، ويزيد حب المرء لخالقه سبحانه، ويعظم شأنه في قلبه، لذا فمن أراد براً بنفسه، فليتعرف إلى خالقه سبحانه وليزدد منه قرباً تبارك وتعالى، وإنها والله النجاة والفلاح والفوز في الدنيا والآخرة.

٩) وأخيراً ففي صفة الحجاب التي أثبتها هذا الحديث الشريف وغيره من النصوص، ردٌ على الحلولية أصحاب القول بالوجود والاتحاد الذين يزعمون أن الله – تعالى علواً كبيراً – حالٌ في كل شيء، لذا فمما يُستفاد من الأثر الشريف أيضًا توظيفهُ رداً على أصحاب الشُبه والإلحاد.

اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك وعلى طاعتك يا رب العالمين، اللهم آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

مما سبق نخلص إلى أنه:

١) لا تعارض بين معنى النور والنار الواردين في الحديث الشريف على أنهما حجاب الباري تبارك وتقدس.

٢) منهج أهل السنة والجماعة على إثبات الحجاب لله حقيقة بخلاف منهج أهل الكلام التأويلي.

٣) انتهاء البصر في الحديث الشريف يقصد به الإحاطة والشمول لجميع الخلق لا الحد والانتهاء.

٤) الحديث الوارد معنا من دلائل عظمة الباري سبحانه وتعالى.

التوصيات:

توجيه المزيد من الجهود لدراسة مثل هذه الآثار التي يوهم ظاهر ألفاظها التعارض، أو عدم التنزيه للباري سبحانه، وذلك من أهم المسائل التي يجب الاهتمام بها، إذ الهجمة الشرسة على الإسلام: الكثير من أسبابها يتعلق بمقام الألوهية، في اعتراض واضح على عقيدة التنزيه للخالق جل وعلا، ولا يفوتني في هذا المقام الإشارة إلى قول بابا الفاتيكان إبّان حادثة الرسوم الدانمركية، إذ شن هجومه على الإسلام فكان مما قال: «والإله في العقيدة الإسلامية مطلق النزاهة»![1]، وما كان لهذا العبارة أن تنطلق لولا

---

(١) جاء تصريحه في لقاءٍ صحفي له بثته قناة الجزيرة في أعقاب موجة السخط التي اجتاحت =

الأثر الذي تحدثه عقيدة الألوهية في الإسلام من عوامل جذب لمن سما نحو الكمال.

لذا لابد لنا من الاعتناء والاهتمام بهذا الجانب من أن تطالهُ شبهات العابثين المغرضين، سيما في ظل الزخم والانفتاح الإعلامي، وأهم المهم تناول أقوال المتكلمين بالرد والتفنيد – على ضوءٍ من علمٍ عصري – إذ هي من أوسع المداخل لتلك الشبهات المتعلقة بالذات الإلهية.

=

العالم الإسلامي بسبب حادثة الرسوم المسيئة. لمتابعة بعض ردود الأفعال، انظر:

http://www.drsregeb.com/?action=detail&nid=33

قائمة المراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانيًا: الكتب.

١) أساس التقديس في الكلام لفخر الدين أبو عبد الله الرازي، ط ١، ١٤١٥هـ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

٢) أقاويل الثقات للإمام مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط١، ١٤٠٦هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار لأبي الخير يحيى العمراني، تحقيق: سعود الخلف، ط١، ١٩٩٩م، دار أضواء السلف، الرياض.

٤) إيضاح الدليل لمحمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، تحقيق: وهبي سليمان الألباني، ط ١، ١٤١٠هـ، دار السلام للطباعة والنشر، مصر.

٥) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. راشد الطيار، د.ط، ١٤٢٦هـ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة.

٦) بيان تلبيس الجهمية تأسيس بدعهم الكلامية لشيخ الاسلام ابن تيمية، الدار العثمانية، ط١، ١٤٢٩هـ، المملكة الأردنية الهاشمية – عمَّان.

٧) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير الدمشقي، د.ط، ١٤٠١هـ، دار الفكر، بيروت.

٨) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، ط١، ١٣٥٦هـ، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

٩) تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٠/ التيسير بشرح الجامع الصغير للإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، ط٣، ١٤٠٨هـ مكتبة الإمام الشافعي، الرياض.
١١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: ابن عثيمين، د.ط، ١٤٢١ هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
١٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، د.ط، ١٤٠٥هـ، دار الفكر، بيروت.
١٣) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، د.ط، د.ت، دار الشعب، القاهرة.
١٤) حاشية السندي على ابن ماجه، لأبي الحسن الحنفي الشهير بالسندي، د.ط، د.ت، دار الجيل.
١٥) دقائق التفسير لشيخ الإسلام بن تيمية، تحقيق: محمد الجليند، ط٢، ١٤٠٤هـ، مؤسسة علوم القرآن، دمشق.
١٦) سنن ابن ماجه.
١٧) سير أعلام النبلاء لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ط ٩، ١٤١٣هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
١٨) شرح قصيدة ابن القيم، لأحمد بن إبراهيم بن عيسى، تحقيق: زهير الشاويش، ط ٣، ١٤٠٦هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.
١٩) شرح النووي على صحيح مسلم لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مُري

النووي، ط٢، ١٣٩٢م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٠/ صحيح الإمام مسلم، لأبي الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، د.ت، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢١) صحيح ابن خزيمة لابن خزيمة.
٢٢) الصفدية لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، د.ط، ١٤٢١هـ، دار الفضيلة، الرياض.
٢٣) غريب الحديث للقاسم أبي عبيد بن سلام الهروي، تحقيق: د.محمد عبد المعيد خان، ط١، ١٣٩٦هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
٢٤) كتاب التوحيد لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: عبد العزيز الشهوان، ط٥، ١٤١٤هـ، مكتبة ابن رُشد، المملكة العربية السعودية.
٢٥) لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط١، د.ت، دار صادر، بيروت.
٢٦) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، ط٢، د. ت، مكتبة ابن تيمية.
٢٧) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية المعطِّلة، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، د.ط، ١٤٢٢هـ، دار الحديث.
٢٨) مرقاة المفاتيح لعلي بن سلطان محمد القاري، تحقيق: جمال عيتاني، ط ١، ١٤٢٢هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٩) مُسند الإمام أحمد.
٣٠/ المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني، تحقيق: محمد بن حسن

الشافعي، ط١، ١٤١٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣١) مشارق الأنوار للقاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي، د.ط، د.ت، دار التراث.

٣٢) مشكل الحديث وبيانه لأبي بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، تحقيق: موسى محمد علي، ط ٢، ١٩٨٥م، عالم الكتب، بيروت.

٣٣) معجم التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني، تحقيق ودراسة محمد صدِّيق المنشاوي، د.ط، د.ت، دار الفضيلة، القاهرة.

٣٤) المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى وآخرون، د.ط، د.ت، المكتبة الإسلامية، استانبول.

٣٥) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق: رشيد بن حسن الألمعي، ط١، ١٤١٨هـ، مكتبة الرشد، السعودية.

٣٦) النهاية في غريب الأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، د.ط، ١٣٩٩هـ، المكتبة العلمية، بيروت.

ثالثًا: المواقع الألكترونية:

المعجم العقدي:

http://www.resaltalislam.com/UserFrontEnd/Dictionary.aspx

موقع الشيخ ابن جبرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

http://www.ibn-jebreen.com/books/

الموقع الألكتروني: جامع ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ

http://taimiah.org

الفهرس